الذي نجح في التسلق والوصول للمراتب فانها يظل مسحوقا من وجهة النظر المضادة ، لانه يعيش حالة من الاستلاب النفسي والاجتماعي . ومن خلال التركيز على هذه الناحية تبرز خصوصية الانسان الفلسطيني في الارض المحتلة ، وتعطى الشخصية القصصية نكهتها الخاصة .

٣ — اللغة والحوار : شيئان مهمان جدا في فن القصص ، ومع ان الكثير من الكتاب العرب لا يكادون يكشفون عن التمايز البيئي من خلال اللغة التي يستعملون والحوار الذي يستخدمون ، فان كتابنا من امثال : اميل حبيبي ومحمد علي طه ، وحنا ابراهيم وخليل السواحري ، ومحمد نفاع ، وتوفيق فياض ، استطاعوا ان يوظفوا اللغة والحوار في الكشف عن كل ما هو فلسطيني متميز. اما الاشياء التي اسعفتهم في ذلك فمنها :

أ — استخدام الامثال الشعبية . وبرع في هذا الاسلوب اميل حبيبي الى درجة عجيبة . فلو قام احد الكتاب باحصاء الامثال الشعبية في روايته « الوقائع » لخرج منها بحصيلة تكون معجما للامثال الشعبية الفلسطينية . واذا اخذنا قصة « اللجنة » او « المعركة » او « حكاية ابريق الزيت » من قصص محمد علي طه لوجدنا فيها طائفة من الامثال الشعبية تكاد في كثرتها تزاحم المفردات العادية . ان قيمة المثل الشعبي في قصص خليل السواحري هي انه يعكس موقفا طبقيا وفلسطينيا متميزا .

ب — اللغة الدارجة : فالقصاصون الذين تحدثنا عنهم في اغلب الحالات يمتلكون آذانا تقدر على التقاط الكلمة الدارجة المتميزة . ويحسنون الى جانب ذلك تقليد اللسان الشعبي . وهي قوة يفتقر اليها كتاب المسرح فما بالنا اذا فرضت حضورها على السرد القصصي والحوار القصصي.

ج — دلالات الارتباط بالارض الفلسطينية ، وهذه ميزة لم تكن جديدة كل الجدة ، فالشعراء الفلسطينيون من امثال محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد كثيرا ما يستخدمونها . ولكنها في القصة وفي السرد القصصي تكون اقدر على اعطاء التمايز الفلسطيني . فاسماء الاشخاص مثلا يتم انتقاؤها بحيث لو وضعت في قصة لقاص عربي فلسطيني لجاءت نابية وغير مناسبة . خذ اسماء الشخوص في قصص خليل السواحري : حمدان الطرشا ، علي الجعار ، محمود الازعر ، سلمان الهرش ، وهناك اسماء الاشجار والنباتات والدواب والحواري ... وكثيرا ما نفتقد هذه الاسماء في قصص الفلسطينيين المقيمين خارج فلسطين .

٤ — الفولكلور ، وهو امر اصبح كثير الشيوع في قصص هذا التيار وما نعني به هنا هو شيء اكثر من استخدام المثل الشعبي ، والاغنية الشعبية ، والحكاية الشعبية التي برع في استغلالها اميل حبيبي وتوفيق فياض ومحمد نفاع ... وانما هو روح الفولكلور . هو كل ما يميز الفولكلور الفلسطيني عن غيره من الفولكلور ، ارتباطا بمعاناة الشعب الفلسطيني عبر الاحداث المتعاقبة . واذا كان اميل حبيبي في السداسية والمتشائل قد اقترب كثيرا من فن الحكاية الشعبية فان محمد نفاع ومحمد علي طه استطاعا ان يجعلا من شخوصهما شخوصا فولكلورية . وعندما تتناول أية قصة من خليل السواحري « كالتحديق في المرآة » او « اللعبة الاخرى » ، او « فرج الهمشري » فانك تحس ان هذه الشخصيات مزجت بالنماذج الشعبية الفولكلورية مزجا يحملها على الايحاء والرمز لا على التقليد او الاقتباس . ومن هنا كثيرا ما نحس بهذا الوجود الخفي للفولكلور في قصص هذا التيار .

ولقد يتساءل المرء : أليس من المستهجن ان يتشابه قصاصون مختلفون في المضمون والشكل ؟ ما مبرر الكثرة الغنية في حالة التشابه ؟ أليس هذا سؤالا باعثا على التشكيك بأهمية القضية المطروحة ؟. الواقع هو العكس تماما . فكل حركة ادبية ، في اية بقعة من بقاع العالم ، تطمح في المدى البعيد ، ان تكون لها سمات وخصائص عامة تكفل لها تميزها عن غيرها من الحركات الادبية . الا ان هذه السمات والملامح لا تأتي من الفراغ . ولا بصورة مفتعلة كانتشار التقليد والمحاكاة ، بل تأتي كنتيجة حتمية لواقع يفرز اشكالا متجانسة من التعبير .

وفي الارض المحتلة كثير من الحوافز التي تدفع لتحقيق هذا القدر من التجانس في التعبير استجابة لافرازات الواقع الموضوعي . فهؤلاء الكتاب